علاقة العرب مع بلاد وادي الرافدين (الآشوريون والكلديون) على وفق منظور دي لاسي أوليري

م. ميثاق عبيس حسين
أ.م.د. كوثر حسن هندي
mithaqobais@gmail.com

الملخص:

ارتبط العرب بعلاقات سياسية مع الممالك التي قامت في الشرق الأدنى القديم، ومنها: المملكة الآشورية، التي عرف عنها التوسع على حساب الدول والممالك المجاورة لها، وكان للعرب نصيب وافر من تلك الحملات العسكرية التي تهدف إلى إخضاعها إلى بلاد آشور، وفي الوقت نفسه نجد ان العرب كانوا من القوة ان يتعاقدوا ويتحالفوا مع الأقوام المجاورة لهم في سبيل صد ذلك التوسع على حساب مناطق سكناهم.

الكلمات المفتاحية: العرب، الدولة الاشورية، الدولة الكلدية، الانباط، تيماء.

Abstract:

The Arabs had political relations with the kingdoms that arose in the ancient Near East, including: the Assyrian queen, who was known to expand at the expense of the neighboring countries and kingdoms, and the Arabs had a large share of those military campaigns aimed at subjugating them to Assyria, and at the same time we find that The Arabs were of the strength to contract and ally themselves with the neighboring peoples in order to repel that expansion at the expense of their areas of residence.

Keywords: the Arabs, the Assyrian state, the Chaldean state, the Nabataeans, Tayma.

المقدمة:

ارتبط العرب بعلاقات سياسية مع الممالك التي قامت في الشرق الأدنى القديم، ومنها: الملكة الآشورية، التي عرف عنها التوسع على حساب الدول والممالك المجاورة لها، وكان للعرب نصيب وافر من تلك الحملات العسكرية التي تهدف إلى إخضاعها إلى بلاد آشور، وفي الوقت نفسه نجد ان العرب كانوا من القوة ان يتعاقدوا ويتحالفوا مع الأقوام المجاورة لهم في سبيل صد ذلك التوسع على حساب مناطق سكناهم.

ومن هنا جاء اختيارنا للبحث المعنون بـــ: (علاقة العرب مع بلاد وادي الرافدين على وفق منظور دي لاســـي أوليري) للوقوف على تلك العلاقة الســـياســـية في أزمان بعيدة، تدل على عمق وجود العرب في مناطق شكلت أهمية سياسية بالنسبة للدول العظمى آنذاك.

قسم البحث على مقدمة ومحورين، وخاتمة ضمت أبرز النتائج التي توصل إليه البحث، فعني المحور الأول بدراسة (علاقة العرب بالإمبراطورية الآشورية) مسلطين الضوء على ابرز العلاقات السياسية بين الطرفين في المناطق الجغرافية المتاخمة لكليهما، أما المحور الثاني فقد ركز على دراســـة (علاقة العرب بالكلديين)، بوصـــف الأخيرة ووريثة الدولة الاشـــورية في بلاد وادي الرافدين، وقد أخذت على عاتقها أيضـــاً مناجزة القبائل العربية ومحاولة فرض سيطرتها السياسية على المناطق الخاضعة لهم بغية التوسع والسيطرة.

اعتمدنا على مجموعة من المصادر ذات الصلة بموضوع البحث، وقد أغنت دراستنا بمعلومات قيمة، وقد رتبت بقائمة منفردة في نهاية البحث.

المحور الأول-علاقة العرب بالإمبراطورية الاشورية

ان اللافت للنظر في مملكة الأنباط ليس في مدة بقائها لمدة فعلية استمرت من ثلاثة إلى أربع قرون فحسب، وإنما ما ميزها علاقاتها مع الدول والشعوب المعاصرة لها، تلك العلاقة جاءت تبعاً للأسلوب المتقدم الذي قاد فيها ملوكها تلك العلاقات بمختلف جوانبها السلمية أو الحربية.

ذكر أوليري عن علاقة الأنباط بالدولة الآشورية بما ورد في حوليات آشور بانيبال[1] (668-631 ق.م)، "بانها أي [الأنباط] كانت تشكل تحالف عربي"[2].

ونلاحظ في هذه الرواية التاريخية ضعف كبير في قول أوليري، فقد اشار إلى ذلك الموضوع المهم بشكل مختصر، ومبهم في الوقت نفسه، بتأكيده على أن الأنباط هم تلك الأقوام التي وردت في الحوليات الآشورية، وكان لديهم حلف عربي، لكن من دون أن يقوم بمناقشة النظريات الخاصة بذلك، واصفاً تشكيل تحالف عربي على رأسه مملكة الأنباط، وهل ان ذلك الحلف هو الذي تصدى للآشوريين آنذاك.

إن أقدم ما وصل إلينا من أخبار عن صراع الأنباط ضد مطامع الدول الكبرى كان في عهد الملك الآشوري آشور بانيبال في القرن السابع قبل الميلاد حارب (ناتنو) ملك الأنباط وتغلب عليه[3].

ومن اسباب ذلك الصراع بحسب النقوش الآشورية بانهم اتخذوا تلك المنطقة مكاناً لهم واسسوا مملكتين بين أخين أحدهما الملك البابلي والآخر الملك الاشوري، ودعم القيداريون[4] الملك البابلي في اجتياح غرب آشور بينما لجأ (ناتنو) قائد نبايوت اي (النبط) إلى السلام كما وصفته نقوش(اسر حدون[5])، ثم هاجم القيداريون والنبايوت حدود مملكة الآشوريين ولكنهم انهزموا وبعد ذلك أعلن ناتنو ابن نوهورو نفسه قائد الأنباط[6]، في حين ذكر آخر أن الأنباط قد وردت باسم: (نبطو) كانوا يسكنون إلى الجنوب من مملكة قيدار في اثناء القرن السادس قبل الميلاد، وفي ضوء حولية الملك اشور بانيبال أنه حارب الأنباط في منطقة بعيدة لا يوجد فيها ماء، وكان (يوتع) أو (ياتع) ملك العرب آنذاك قد هرب من حملة الآشوريين إلى (جنوب دومة وادي السرحان) حيث موطن الأنباط[7].

وان (نبطو) بحسب ما ورد في الحولية تؤكد على ما ذهب إليه أوليري بأن هؤلاء قد عقدوا حلفاً مع اخو اشور بانيبال الذي كان حاكماً على بلاد بابل ولم يكن راضياً على الوضع الذي هو فيه، فتعاون مع العرب والقبائل الآرامية وقيل (منسي[8]) ملك إسرائيل كذلك، وقد استمرت تلك الثورة مدة أربع سنوات لكن اشور بانيبال وبعد تأكده من عدم استجابة الطرف الآخر، شن حملة عسكرية مكنته من احتلال بابل والقضاء على الثورة نهائياً، وكان من ضمنهم ملك عربي ووصف بانه ملك النبط[9].

وكان (ابيتع) سيد الأنباط حليف للـ:(اليطع) بوصفهما ينتمون إلى جنس واحد [10]، فقد شن آشور بانيبال حملة عسكرية أخرى ضد (أبيتع) و(ايامو بن تعري) الذي قاما بمساعدة أخيه (شمش-شوم- أوكن[11]) بثورته ضده، فقتل منهم آشور بانيبال خلقاً كثيراً وتمكن (ابيتع) من الجثو تحت اقدام الملك الاشوري طلباً للعفو، فكان آشور بانيبال رؤووفاً به وعينه زعيماً على العرب بدلاً من (اليطع) بن حزائيل، فقد أشارت حولياته تقديم الملك العربي جزية سنوية متفق عليها تتكون من الذهب والأحجار الكريمة والحمير، ثم استمر الملك الاشوري في حملته العسكرية من اجل اخضاع العرب والحصول على الأموال، فقصد بلاد الأنباط حتى وصل ميدنة (لاريبدا) ثم حدود (حورارينا)، ثم على (يسامع) فغنم منها أموالاً لا تحصى وجمال وحمير وبشر كثير، ثم تغلبوا على القيداريين وأخذ منهم ماشيتهم وجمالهم ونسائهم، حتى بلغ سعر الجمل الواحد في بلاد آشور بسبب كثرة الغنائم أقل من شيقل واحد من الفضة [12].

استجاب (اليطع) ملك العرب إلى طلب (شمش – شوم – اوكن) وارسل قواته بقيادة أبيات لفك الحصار الذي فرضه الآشوريين على مدينة بابل، إلا أن المحاولة لم يكتب لها النجاح وانهزمت القوات العربية إلى الصحراء، ونتيجة لذلك طلب من الملك الآشوري العفو والمغفرة، وهكذا لم يكن بمقدوره الدفاع عن مدينة بابل التي عانت من حصارٍ قويٍ مدة سنتين، وبعد ذلك استسلمت بابل؛ بسبب تفشي المجاعة بين سكانها وتبين لنا ذلك بقول اشور بانيبال: "... في هذا الوقت كان حظ السكان سيئاً مع شمش – شوم – اوكن عندما تامروا بالشر معه اذ تفشت المجاعة بينهم...شمش– شوم – اوكن الخائن في لهيب نيران قصره حطم حياته..."[13].

أشار النص إلى حالة السكان السيئة على المستوى المعاشي نتيجة لتعاونهم معه ضد الآشوريين، واصفاً حالة المجاعة التي عاشوها إبان تلك المدة وتدمير مُلك شمش-شوم-اوكن؛ بسبب تصرفه اللامسؤول.

وقام بإرسال (اليطع) إليه كوسيلة لتحسين العلاقات بين الطرفين، إذ فقام الملك الاشوري بوضعه في قفص وعرضه على الناس عند أحد أبواب المدينة، فقد ذكر ان آشور بانيبال عامل (اليطع) على هذه الصورة[14]، ويبدو أن الملك الاشوري قد أخل باتفاقه مع (ابيتع)، فالأخير قد أقلقته زيارة (اليطع) إليه بقوله له :" كيف سأنجو من الآشوريين وأنك وضعتني بهذه الزيارة بجانبك" ومن شدة خوفه بعث رسله إلى آشور بانيبال وعرض عليه الصلح ووافق الاخير على ذلك، وان تلك الرسل كانت بمثابة وساطة لعودة العلاقات الحسنة بينهما، وأن ذهاب (اليطع) إلى آشور بانيبال بناءً على تلك العلاقات التي كانت مشجعة بشأن (اليطع)؛ لأن المصادر لم تزودنا بمعلومات عن وجود علاقات بين الآشوريين والأنباط قبل هذا، وان ذلك كله جاء بسبب (اليطع) ملك البلاد العربية[15]، إلا أن آشور بانيبال لم ينفذ اتفاقه فقد عامله معاملة قاسية كما أُشير في النص الآتي: " حبسته في مربط الكلاب، وضعته مع بنات آوى والكلاب، واقمته على حراسة الباب في نينوى"[16]، ذلك التصرف الذي أغضب الأنباط فتحالفوا مع (عدية) زوجة (اليطع) التي وقف إلى جانبها أيضاً (عمولادي) ملك قيدار، والتي انتهت إلى تصادم عسكري هزمت فيه القبائل العربية وتم أسر (عدية)[17]، مع خلق كثير من شعبها ونقلهم إلى آشور، فضلاً عن حرق خيامهم كلها[18].

وقد وصف آشور بانيبال موقف الأعراب وصفًا مؤثرًا بهذه الكلمات: "اشتدت عليهم وطأة الجوع. ولكي يسدوا رمقهم، أكلوا لحوم صغارهم ... وقد سأل أهل العربية بعضهم بعضًا: ما بال بلاد العرب قد أحدق بها هذا الشر؟ فكان الجواب: تلك عاقبة من ينكث العهد، ويخرق المواثيق التي قطعناها لآشور"[19].

إذ يستشف من قول الملك الاشوريين ما يأتي:

1- أنه قام بمحاصرة الأعراب بداية، ومنع وصول الطعام لهم لمدة طويلة أجبرهم على ذبح صغارهم وأكلهم.
2- وفي الوقت نفسه يبين أن تلك العقوبة كان تطبق على كل من يخالف الآشوريين ويقف ضدهم، وهي تشير في الوقت نفسه إلى قوسة ملوك آشور في التعامل مع الأسرى.
3- تبين لنا من نص الرواية ان العرب كانوا على حلف مع الآشوريين، بعدم مهاجمتهم أو مهاجمة أملاكهم، وكانت تلك الحلف بسبب إخلالهم بذلك الحلف.
4- يمثل النص قوة آشور وصلابتها وصلابة القرار السياسي وقوتها في إخضاع الشعوب المناهضة لها إبان حكم أشور بانيبال.

ووصف حملته على الأعراب ومطاردته لهم بهذه الكلمات: "في رمضاء البادية وقيظها، حيث لا ترى طيور السماء وحيث لا يرى حمار الوحش ولا الغزال"[20]؛ إذ يدلل القول قيادة حملته العسكرية على تلك المناطق رغم شدة الحر وصعوبة الحياة التي كانت موجودة في البادية.

ورغم ما ذكر في أعلاه لكن لم يثبت لحد الآن ان كلمة نبطو الواردة في نصوص الملوك الآشوريين هي نفسها الأنباط التي نحن بصددها، أو إن ثبت العكس فهذا يدلل على أن تلك الدولة تمكنت من إيجاد نظام سياسي مستقر لها منذ القرن السابع قبل الميلاد.

يلحظ لدينا ان الآشوريين قد خصصوا جزءاً من حملاتهم العسكرية ضد القبائل العربية، التي كانت ترفض الخضوع لسلطان الإمبراطورية الآشورية، إذ نلاحظ انهم عبر تأريخهم الطويل عملوا على مواجهة تلك التحديات والاخطار ودفع اذى الشعوب والاقوام التي تهدد بلادهم وبجميع السبل سواءً أكانت مشروعة أم لا ، او عن طريق الدبلوماسية أو استخدام القوة بإرسال حملات عسكرية بوصفها أحد الخيارات المتاحة لتحقيق ما تصبو إليه المملكة الآشورية، ومن جانب آخر نجد إن الاشوريين قد حرصوا على إقامة علاقات ودية مع العرب بعقدهم اتفاقيات سياسية تحتم عليهم الالتزام بما ورد في بنودها، وإن حصل العكس كانت القوة هي الحل الامثل في بسط سيطرتها وإخضاعها.

المحور الثاني-علاقة العرب بالكلدانيين:

حظيت تيماء بأهمية سياسية واقتصادية كبيرة، في نظر الإمبراطوريات القديمة المعاصرة لها، ونظراً لأهميتها الاستراتيجية فقد اتخذها آخر ملوك الدولة البابلية الحديثة مقراً له مدة من الزمن، وقد ذكر أوليري :" قام نبونيديس آخر ملوك البابليين سنة 552 ق.م بحملة على تيماء التي يصفها بانها بلاد العموريين... أي البلاد الغربية موطن الساميين حيث بنى قصراً أقام فيه مع حامية من البابليين والسوريين حتى سنة 544 ق.م على الأقل" [21].

وبتحليل نص الرواية يمكننا بيان الآتي:

1- لم يبين أوليري ما هي الأسباب التي دعت الملك البابلي ترك عاصمته بابل والتوجه نحو تلك المنطقة، هل كانت اسباب سياسية أو اقتصادية ام كلاهما، إذ من غير المعقول أن يترك ملكاً عاصمة حكمه التي ورثها عن أجداده وابائه من دون أي سبب، لاسيما إذا ما علمنا إن حكام الشرق الأدنى القديم كانت لهم سياسيات خاصة ومرتبطة بشكل مباشر مع الإله إذ أنهم يعدون أنفسهم وكلاء الآلهة نفسه وما يقومون به في بعض الأحيان هو نتيجة لرغبات الرب بالنسبة لهم

يبدو أن هناك سبباً جوهرياً وراء خروج الملك البابلي نبونئيد من عاصمة ملكه بابل إلى شمال غرب الجزيرة العربية واستقراره مدة عشرة سنوات متتالية في تيماء، كما أن نبونئيد لم يفصح عن الأسباب التي كانت وراء خروجه من بابل وإقامته في تيماء، والتي يمكن إجمالها في ضوء المعلومات الواردة في المصادر.

وللوقف على تلك الأسباب ارتأينا تتبع ذلك الحدث في المصادر المتنوعة، فقد اشار نقش حران[22] أو ما يسمى بـــــ : شاهد حران، إن نبونئيد أقام في تيماء؛ بسبب حدوث تمرد وعصيان شديد من قبل شعبه، بزعامة كهنة مردوك في بابل بصورة خاصة، بعد طلبه منهم المساعد في بناء معبد (غي-خل-خل) معبد الإله سين في حران، وذلك لشعورهم بان مكانتهم الدينية والسياسية ستنخفض مقارنة بكهنة الإله سين، وضغطه على خزينة المعبد الاقتصادية التي ترتبط بمصالحهم الاقتصادية، مما شجعوا الناس على التمرد ضد سياسة الملك، واتهامه بانه مغتصباً للعرش؛ بسبب تركه عبادة الإله مردوك، واشار الشاهد أن نبونئيد استاء من تصرفاتهم، واتخذ الملك قراره بالابتعاد عن مدينته بابل ومتخذا من تيماء موطناً جديداً له [23].

إذ يرى السعيد[24] بأن خروج نبونئيد من بلاده على اثر ثورة دينية من لدن الكهنة، غير مقنع لأسباب منها: فهل من المنطق أن يقوم نبونئيد بتنصيب ابنه خلفاً له ويترك البلاد، فلا يمكن لثورة أن تقوم ضد اب وتقبل بابنه من بعده حاكماً عليهم، إلى جانب ان الجيش البابلي كان مرافقاً مع الملك نبونئيد إلى شمال الجزيرة العربية، في حين ان الجيش كان من عامة الشعب الم يكن به من يعاكس نبونئيد في توجهه الديني، علاوة على ذلك فان النصوص البابلية اشارت إلى الملك البابلي كان يمارس صلاحياته السياسية حاكماً للدولة البابلية، فقد أشارت إلى زيارة وفود الدول المجاورة إليه في أثناء إقامته في تيماء وعقد معاهدات الصلح معهم.

إلا أن السبب الحقيق يكمن في إنّ الدولة البابلية الحديثة بعد وفاة نبوخذنصر الثاني[25](605-562 ق.م) بحالة من الضعف؛ وكانت الثروة الزراعية الناتجة لا تسد الحاج المحلية؛ بسبب اتساع أعداد شعبها بعد إدخال أقوام عدة إليها ، مثل: الاراميون والمصريون واليهود، وهذه شكلت بمجموعها مصدر إعياء للدولة البابلية نتيجة التمردات التي نشبت من داخلها، وتناقص في الموارد التجارية التي كانت مصدر رخاء في حضارة وادي الرافدين [26].

لذا يمكننا القول أن حملة نبونئيد هي اقتصادية بحتة، تظهر رغبته في السيطرة على أخطر طريق برية للتجارة، تربط بلاد الشام بالعربية الجنوبية، وهي طريق قديمة تسلكها القوافل التجارية المحملة بأنفس التجارات المطلوبة في ذلك العهد، ثم السيطرة على البحر الأحمر، وذلك بالاستيلاء على الحجاز وعسير واليمن وربما على العربية الجنوبية كلها؛ ولو تم له ذلك، لكان ملكه قد بلغ المحيط الهندي. ومن يدري، فلعل اختياره (تيماء) مقرا له، وتجوله في الأرضين الواقعة بينها وبين يثرب كان لهذا السبب، أي: لتنفيذ تلك الفكرة الخطيرة، فكرة السيطرة على جزيرة العرب وبلوغ المياه الدافئة للوصول إلى إفريقية والهند والعربية الجنوبية، إلا أن فكرته هذه لم تتحقق كما يتبين من النص، فكان أقصى ما وصل إليه يثرب[27].

فضلاً عن ذلك ليحيي أهميتها الاقتصادية على الطريق التجاري الرئيس بين شمال غرب شبه الجزيرة العربية وبين العراق من ناحية وبين البحر المتوسط من ناحية أخرى. ثم ينتفع بمواردها[28]، لاسيما إذا ما علمنا إن إقامة نبونئيد في تيماء والأماكن التي وصل إليها وسيطر عليها، وأولى الملاحظتين، هي: أن المدن التي يذكرها في هذا الصدد تقع على الخط التجاري الشمالي الجنوبي مما يؤكد هدفه الاقتصادي من نقل مقر حكمه إلى تيماء. فإلى جانب هذه المدينة ذكر الملك سيطرته على مدن: دادانو[29]، فاداكو[30]، هيبرا[31]، ياديهو[32]، ياتريبو[33][34].

كان نبونئيد على إطلاع وعلم واسع بالمناطق الجغرافية المحيطة بمملكته، لاسيما الطريق البري التجاري عبد الصحراء الذي كان تحت سيطرة العرب ينتفعون منه جرّاء التجارة، فضلاً عن ذلك فقد كان على معرفة بما كان يحصل عليه ملوك آشور وبابل من ضرائب وغنائم كانت تفرض على تلك المناطق التي تمر عبرها القوافل التجارية، وبالخصوص الطريق التي تعرف باسم: طريق التوابل والبخور والحرير، فهذه الطريق تبدأ من منطقة الجرهاء[35] أو الجرعاء على الخليج العربي مارة بالإحساء فالهفوف وحائل عابرة تيماء باتجاه الغرب إلى أبلة (العقبة) ومصر، ومن ثم فأن السيطرة على هذه الطريق سيمكن الملك نبونئيد من التحكم بتجارة مصر وفرض الضرائب على بضائعها، علاوة على ذلك سيكون ورقة ضغط ضد فرعون مصر تمنعه من القيام بأي عمل عدائي ضد بابل، لاسيما أن المصريين كانت لديهم اطماع كبيرة في السيطرة على قسم من الأراضي الواقعة تحت حكم الدولة البابلية وبشكل خاص مدينتي: سورية وفلسطين، كما ان السيطرة على تيماء، يؤدي إلى سيطرته على الطريق الذي تمر من جنوبي شبه الجزيرة العربية نحو دمشق وحلب حتى الأناضول شمالاً، هذا الطريق الذي كانت تمر عبره قوافل البخور والصمغ والتوابل القادمة من جنوب أسيا والشرق الأقصى باتجاه الشرق الأدنى القديم عامة وبلاد بابل خاصة[36].

نستشف من اهداف اختيار نبونئيد إلى تيماء:

1- الاستفادة من الموارد التجارية التي كانت تنعم بها سكان تلك المناطق لاسيما الضرائب والمكوس التي كانت تفرضها مقابل مرور القوافل التجارية على أراضيها، إذ انها تدر أموالاً طائلة كان نبونئيد بأمس الحاجة لها لتقوية سلطته ومواجهة الاضطرابات التي نشأت في عاصمته بابل.
2- مد نفوذه وسيطرته على الأراضي التي تقع شمال جزيرة العرب، لاسيما إذا ما علمنا أن نبونئيد كان آخر حكام بابل الاقوياء، الذين كانوا يرغبون توسيع ممتلكاتهم بوصفهم إمبراطورية منافسة لمصر وغيرها من الممالك المجاورة لهم.
2- اشار أوليري إلى قيام الملك البابلي نبونئيد مستعملاً كلمة (حملة) على مدينة تيماء، والحملة تشير بشكل رئيس إلى قيام مجموعة من الناس الانتقال إلى مكان آخر، وفي الوقت نفسه لم يبين أوليري طبيعة تلك الحملة، فالدلائل تشير في السنة الثالثة من حكمه جرد حملة على (أدومو) أي (دومة الجندل)، وسار منها إلى تيماء على رأس جيشه، الى (أكد) (أكاد)، فلما وصل إليها، أستخدم السيف فيها وقتل أميرها وأهلها؛ بسبب مقاومتهم له وعنادهم في الدفاع عن مدينتهم، ثم طاب له أن يستقر بها [37]، فمن جهة نجد بعض قبائل العرب تتصدى له مباشرة؛ بسبب إقدامه على قتل أمير تيماء وعلى ذبح قطعان الماشية التي يمتلكها سكان المدينة وضواحيها[38]، وفي سنة 552 ق.م دخل دومة الجندل وأخضعها لحكمه، والشاهد التاريخي على قيامه بالغزو مستخدماً الجيش البابلي هو نقش لملك دومة الجندل، والذي جاء فيه: " أ ن ب س ر ن /ع ب د /ن ب و ن أ د /م ل ك /ب ب ل /ن ط ر ت/ه غ ن م /ب م أ ت ن /ف رن /و م أ ت ن /ر ك ب /أ ب ل/" وتعني: "أنا بسران عبد نبانيد ملك بابل حرست(انتظرت)الغنائم بمائتين من الفرسان ومائتين راكب إبل"[39].

بعد تقدم نبونئيد باتجاه دومة الجندل بعد اخضاعها له وهو : بسران بن المضران بحراسة الغنائم أو انتظار ها برفقة مائتين من الفرسان ومائتي من راكبي الإبل، والغنائم تلك هي مما حازه نبونئيد من تيماء والمناطق المجاورة لها بعد سيطرته عليها وتكليفه لملك دومة الجندل بسران بن مضران بحراستها[40]، علاوة على ذلك ما اشار إليه (شاهد حران): أنه لما ترك بابل وجاء إلى (تيماء)، أخضع أهلها، ثم ذهب إلى (ددانو) أي (ديدان و(بداكو) و(خبرا) و(إيديخو) حتى بلغ (أتريبو). ثم تحدث بعد ذلك عن عقده صلحًا مع العرب، وقد ختم العمود الذي جاء فيه هذا الخبر بأسطر تهشمت جُمل منها؛ يفهم منها أن العرب المذكورين أرسلوا إليه رسلاً،

عرضوا عليه عقد صلح معه، واستسلامهم له، فوافق على ذلك بعد أن كبَّدهم جيشه خسائر فادحة، وأسر منهم ونهب، ولم تذكر تلك الأسطر المواضع التي حارب فيها جيش (نبونيد) أولئك الأعراب[41].

وشن العرب غارات متتالية على معقل نبونئيد في تيماء، ومنها : (قبيلة لعق) مما تطلب منه ملاحقتها في الصحراء، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على انه عاش في صراع من أهل تيماء والمناطق المجاورة لها منذ وصوله ودخوله مدينتهم، وعلى أثر ذلك قام نبونئيد بوضع حامية عسكرية حوله لحمايته من هجمات تلك القبائل العربية [42]، إذ أن سكان بعض المناطق العربية تعرضوا للملك وحاولوا أن ينهبوا ممتلكاته ولكنه نجح في القضاء على بعضهم وتشتيت البعض الآخر مما اضطرهم للخضوع له[43].

حدد أوليري نهاية مدة بقائه في تيماء بسنة 544 ق.م معتمداً على كلمة تعد من أسلوب التضعيف في الكتابة التاريخية وهي (على الأقل) إذ رأى جواد علي [44] بداية الحملة سنة 552 ق.م، وهو ما يؤكد صاحب كتاب دراسات في تاريخ العرب القديم[45] بقوله: "قد قام بحملة في العام الثالث من حكمه" اي ان مدة حكم هذا الملك حددت (555-539 ق.م)، وقد بقي فيها مدة عشرة سنوات [46]وبذلك تكون سنة عودته 542 ق.م .

وعودته كانت في شهر تشرين من عام 543 ق.م من مدينة تيماء، وهذا ما أكده نقش حران " بعد عشر سنوات حان الوت واكتملت الأيام أوحى بها ننارى ملك الآلهة في اليوم السابع عش من شهر تشرين"[47].

3- لم يشر أوليري إلى الأسباب التي أدت بنبونئيد إلى ترك تيماء والعودة إلى بابل، إذ ان مدة العشر سنوات ليست بالقليلة ليعدل عن رأيه ويعود إلى عاصمة ملكه، إذن لابد أن يكون هناك سبب مقنع لترك مكانه الذي أسس فيه علاقات سياسية مع القبائل العربية الموجود هناك وعقد احلافاً معهم.

فرض نبونئيد سيطرته بالقوة وهذا بطبيعة الحالة سيزيد من حنق القبائل العربية عليه التي زادت من ضغطها وهجماتها المستمرة على تيماء، فضلاً عن مقاومة سكان تيماء لنبونئيد إذ كانوا يعدونه محتلاً خصوصاً بعد أن قتلهم بالسيف في بداية سيطرته عليهم، وخير دليل على ذلك ما ذكره النقش الذي عثر عليه في جنوب غرب تيماء وجاء فيه : " أنا مردان صديق (حليف نبونيد ملك بابل. اتيت مع قائد الجيش كي. يدخل (يبلغ) إلى فلس لتعقب أفراد بادية لعق" [48] .

وهناك من أرجع عودة نبونئيد إلى بلاده بسبب تصاعد خطر الأخمينون[49] بقيادة كورش[50] الثاني، الذي شكل إمبراطورية فارسية على حساب إمبراطوريات عدة، ومنها: بابل، إذ نجد أن نبونئيد اتخذ قرار عودته لبابل عله ينقذها من الخطر، فقد ذكر في نقش حران قوله:" بعد عشر سنوات وصلت في الوقت المناسب، اتيت من مدينة تيماء، حيث جعلني سين أعود ودخلت بابل بختم الملكية" [51].

ويرى الباحث ان هذا السبب يكاد يكون مقنعاً ؛ بسبب استغلال كورش للأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية التي كانت تمر بها بابل، ورغبة الأخمينيون بالتوسع وإخضاع الشعوب لسلطتها، لذا لم يجد بديلاً سوى الخروج من تيماء على وجه السرعة والتوجه إلى عاصمة دولته، لاسيما إذ ما علمنا ان نبونئيد قد تحرك بكامل جيشه وحرسه الخاص نحو بابل مما يعني ان تيماء قد خلت من أي وجود بابلي فيها[52]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على وجود خطر محدق بمملكته كلها، ولاسيما إذا ما علمنا سوء العلاقة بينه وبين كهنة المعبد وخوفه من مساعدة الاخمينيين، علاوة على اليهود الذين كانوا ناقمين على الدولة نفسها؛ بسبب سبيهم منذ عهد نبوخذ نصر الثاني (597 ق.م و587ق.م)، وقد وجود في كورش المنقذ لهم[53]، وبعد قرابة ثلاثة سنوات تمكن الأخمينيون بقيادة ملكهم كورش من دخول بابل سنة 539 ق.م [54].

الخاتمة

توصل البحث إلى جملة من النتائج، منها:

1- لم يعش العرب بمعزل عن الدول القديمة التي نشأت في شبه الجزيرة العربية، فقد كانت لديهم تحالفات وعلاقات سياسية مع بعضها، وصراع وصدام مع بالعض الآخر، بحسب ما تقتضيه المصلحة العامة لها.

2- كشف لنا البحث أن العرب امتلكوا نظام سياسي في أزمان قديمة، واتضح ذلك من خلال مشاركتهم في الحروب ليس في الرجال فحسب، وإنما بالموارد الاقتصادية من جمال وطعام ... الخ.
3- كان العامل الاقتصادي الابرز في محاولة دول بلاد الرفدين التوغل في المناطق التي تقع ضمن منطقة سكن القبائل العربية، إذ كانت تمر عبرها القوافل التجارية التي لا غنى عنها من لدن دول العرق القديم.

هوامش البحث

(1) آشور بانيبال: ملك بلاد آشور بعد والده أسر حدون للمدة 669-626 ق.م، كان إدارياً حازماً وفي الوقت نفسه محباً للفنون والثقافة، بلغت آشور في عهده أوج عظمتها، من اعماله العمرانية بناءه قصراً في العاصمة نينوى احتوى على مكتبة فيها 20.000 لوح، غزا بلاد عيلام ونهب عاصمتها سوسة سنة640 ق.م. ينظر: بعلبكي، معجم أعلام المورد، ص58.

(2) أوليري، العرب قبل محمد، ص96.

(3) عباس، تاريخ دولة الأنباط، ص25-30؛ زيدان، العرب قبل الإسلام، ص85.

(4) القيداريون: قبيلة عربية سكنت بالقرب من النبط، كانوا أعرابا يعيشون في الخيام عيشة أهل البداوة، وقد اشتهروا بأن فيهم رعاة يملكون ماشية كثيرة، إلا أن منهم من كان متحضرا سكن القرى والمدن. علي، المفصل في تاريخ العرب، ج2، ص90.

(5) أسر حدون : تولى العرش بعد أبيه سنحاريب للمدة 680-669 ق.م، شهدت مدة حكمه صراعاً عسكرياً مستمراً، ففي سنة 678 ق.م أخضع الكلدانيون لحكمهن ودمر مدينة صيدا سنة 677ق.م وفتح بلاد مصر سنة 671 ق.م في حملته الأولى، وفي سنة 669 ق.م في حملته الثانية بسبب ثورة قامت ضده، قام ببناء مدينة بابل، توفي سنة 669 ق.م للمزيد من المعلومات ينظر: بعلبكي، معجم اعلام المورد ، ص56.

(6) محمود، علاقات الأنباط بالدول والشعوب المجاورة، ص3.

(7) الهاشمي، العرب في ضوء المصادر المسمارية، ص653-655.

(8) محمود، علاقات الانباط بالدول والشعوب المجاورة، ص3.

(9) منسي: ملك يهوذا ملك، وهو الابن الوحيد للملك حزقيا، أصبح ملكًا بعمر (12) عاماً، وبقي حاكماً على مملكته حتى بلغ من العمر(55) عاماً حين توفي حسبما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني و سفر الملوك الثاني، وقد امتدت سنوات حكمه من سنة 687-642 ق.م، وقد عبد هذا الملك الأصنام.
https://ar.wikipedia.org/wiki/

(10) حتي، تاريخ العرب، ج1، ص48.

(11) شمش –شوم-أوكن: الابن الأكبر للملك الاشوري أسر حدون، حكم بلاد بابل على حياة أبه وبتفويض منه سنة 668 ق.م، وبعد وفاة والده وتسلم أخيه الأصغر آشور بانيبال الحكم اشتد غضبه وأعلن الثورة ضده، فقام اشور بانيبال بمحاصرة بابل وحرق المدينة وقتله أخيه سنة 648 ق.م.
https://ar.wikipedia.org/wiki/

(12) الهاشمي، العرب في المصادر المسمارية، ص657-658.

(13) محمد الحملات العسكرية الاشورية، ص52.

(14) علي، المفصل في تاريخ العرب ، ج2، ص252-253.

(15) الهاشمي، العرب في المصادر المسمارية، ص654-655.

(16) علي، المفصل في تاريخ العرب ، ج2، ص252-253.

(17) اسماعيل، العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية، ص148.

(18) الهاشمي، "العرب في المصادر المسمارية"، ص655.

(19) علي، المفصل في تاريخ العرب، ج2، ص253.

(20) علي، المفصل في تاريخ العرب، ج2، ص254.

(21) العرب قبل محمد ، ص68.

(22) نقش حران: عثر عليه من لدن المستشرقون حران اللجا في المنطقة الشمالية من جبل الدروز، مدون باليونانية والعربية. للمزيد من المعلومات ينظر: علي، المفصل في تاريخ العرب، ج1، ص177.

(23) أحمد، بلاد بابل في عهد نبونايد ، ص100-101.

(24) حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، ص8-9.

(25) نبوخذنصر الثاني: هو بن نبوبلاصر مؤسس الإمبراطورية الكلدية، يعد من أعظم ملوكها وأكثرهم شهرة، لارتباطه بأهم الاعمال العمرانية والعسكرية، فقد هزم المصريون في معركة قرقميش سنة 605 ق.م، وهزم اليهود ودمر بيت المقدس سنة 586 ق.م وسبي أكثرهم إلى بابل. للمزيد من المعلومات ينظر: البعلبكي، معم أعلام المورد، ص452-453.

(26) صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص126. للمزيد من المعلومات حول أسباب اختيار نبونئيد إلى تيماء ينظر: السعيد، حملة الملك البابلي، ص8 ؛ أحمد، بلاد بابل في عهد نبونئيد، ص102.

(27) علي، المفصل في تاريخ العرب، ج2، ص266.

(28) صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص126-127.

(29) دادانو: يقصد به ديدان. علي، المفصل في تاريخ العرب، ج2، ص267

(30) فاداكو: هي فدك الواحة الخصبة الواقعة إلى شمالي خيبر. علي، المفصل في تاريخ العرب،ج1، ص417.

(31) هيبرا: وهي مدينة خيبر. علي، المفصل في تاريخ العرب، ج1، ص417.

(32) ياديهو: هي يادع، وهي منطقة بين فدك وخيبر. علي، المفصل في تاريخ العرب، ج1، ص417.

(33) ياتريبو: وهي يثرب التي تغير اسمها إلى المدينة المنورة بعد هجرة الرسول (F) إليها. علي، المفصل في تاريخ العرب، ج1، ص417

(34) عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ص417.

(35) الجرهاء: مدينة في بلاد العرب، اشتهرت بكثرة الملح الذي كان على شكل أبراج مربعة على شكل كتل حجرية. بلينيوس، بلينيوس والجزيرة العربية، ص110، 202.

(36) أحمد، بلاد بابل في عهد نبونئيد، ص103-104.

(37) علي، المفصل في تاريخ العرب، ج2، ص361.

(38) عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ص416.

(39) الحاج، "حملة الملك نبونيد على تيماء من خلال نقشين ثموديين جديدين لملك دومة (أدوماتو)"، ص87.

(40) حملة الملك نبونيد على تيماء من خلال نقشين ثموديين، ص87-88.

(41) علي، المفصل في تاريخ العرب، ج2، ص265.

(42) بن معيوف، المجامر القديمة في تيماء(دراسة أثارية مقارنة)، ص30.

(43) عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ص417.

(44) المفصل في تاريخ، ج2، ص262.

(45) مهران، ص434.

(46) مهران، دراسات في تاريخ، ص434.

(47) المطوري، تيماء من القرن السابع حتى القرن الثاني قبل الميلاد (دراسة تاريخية) ، ص17.

(48) بن معيوف، المجامر القديمة في تيماء، ص30؛ المطوري، تيماء من القرن السابع، ص15.

(49) الأخمينيون: أو أخمنس ينتمون إلى قبيلة بارسا الهندوآرية، جاءت الأخيرة وسكنت الهضبة الإيرانية في حدود اللف الأول قبل الميلاد متخذة من بحيرة أورمية سكناً لها، ودخلوا في طاعة الاشوريين أولاً، وفي القرن السابع قبل الميلاد تمكن أخمينس من توحيدهم تحت زعامته ويكون لها كيان سياسي عرف بـ: الأخمينيين في منطقة بارسوماش. باقر، وآخرون، تاريخ إيران القديم، ص25.

(50) كورش الثاني: أو قورش الثاني الكبير، ملك فارس (529-550 ق.م) يعد المؤسس الفعلي لإمبراطورية الأخمينيين الفارسية، قضى على الميديين وضمها إلى إمبراطوريته عام 550 ق.م، وهزم كريسوس آخر ملوك ليديا سنة 546 ق.م، وفتح بابل سنة 539 ق.م. البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص372.

(51) أحمد، بلاد بابل في عهد نبونيئد، ص114.

(52) السعيد، حملة الملك نبونيد، ص62، 64.

(53) أحمد، بلاد بابل في عهد نبونئيد، ص113.

(54) السعيد، حملة الملك نبونيد، ص64.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر الكلاسيكية:

- بلينيوس.

1. بلينيوس والجزيرة العربية، إشـــراف وتحرير: العبد الجبار، عبدالله بن عبد الرحمن، ترجمة: علي عبد الجيد، تعليق: زياد السلامين، (الرياض: دار الملك عبد العزيز، 2017م).

ثانياً- المراجع العربية والمعربة:

- اسماعيل، عارف أحمد.

1. العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد وحتى منتصف الأول قبل الميلاد الأول، (صنعاء: مركز عبادي للدراسات والنشر، 1998م).

- أوليري، دي لاسي.

2. العرب قبل محمد، ترجمه وعلق عليه: موسى أبو الغول، (الأردن: وزارة الثقافة الأردنية، 1990م).

- باقر، طه وآخرون.

3. تاريخ إيران القديم، (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1980م).

- البعلبكي، منير.

4. معجم أعلام المورد، إعداد الدكتور: رمزي البعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، 1992م).

- زيدان، جورجي.

5. العرب قبل الاسلام، (بيروت: د.مط، 1968م).

- السعيد، سعيد بن فايز ابراهيم.

6. حملة الملك البابلي نبونيد على شـمال غرب الجزيرة العربية، (السـعودية: جامعة الملك سـعود، الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الثامن، 2000م).

- صالح، عبد العزيز.

7. تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، (د.م: مكتبة الأنجلو مصري، د.ت).

- عبد الوهاب، لطفي.

8. العرب في العصور القديمة، (بيروت: د. مط، 1979م).

- عباس، إحسان.

9. تاريخ دولة الأنباط، (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1978م).

- علي، جواد .

10. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، (د.م: دار الساقي، 2001م).

- مهران، محمد بيومي.

11. دراسات في تاريخ العرب القديم ، ط2، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية ، 2008م).

ثالثاً- الرسائل والأطاريح الجامعية:

- أحمد، سهر لطف الدين.

1. بلاد بابل في عهد نابونيد (539-555 ق.م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 2017م.

- محمود، راجح زاهر محمد.

2. علاقات الأنباط بالدول والشعوب المجاورة، رسالة ماجستير، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق، 2004م.
3. المطوري، محمد علي عبد الكريم.
4. تيماء من القرن السابع حتى القرن الثاني قبل الميلاد (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، 2014م.

- بن معيوف، محمد بن معاضة غرمان.

5. المجامر القديمة في تيماء(دراسة أثارية مقارنة)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية، 2005م.

رابعاً- البحوث والدراسات المنشورة:

- الهاشمي، رضا جواد.

1. العرب في ضوء المصادر السريانية، مجلة كلية الآداب، العدد(22)، بغداد، 1978م.

- الحاج، محمد بن علي.

2. "حملة الملك نبونيد على تيماء من خلال نقشين ثموديين جديدين لملك دومة (أدوماتو)"، مجلة هيرودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية، د.ع، د.ت.

خامساً- شبكة الانترنت:

https://ar.wikipedia.org/wiki/